



ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: <https://eduj.uowasit.edu.iq>

Ass. lect. Ahmed
Hashem Jawad

University of Kut, College
of Education

Email:

ahme.hashm@alkutcollege.edu.iq

Keywords:

semantic thought,
grave words, Islamic
thought



Article info

Article history:

Received 4.Jun.2025

Accepted 13.Jul.2025

Published 10.Nov.2025



Semantic thought and its role in directing meaning in grave words in Islamic thought

A B S T R A C T

This research deals with semantics and its role in directing meaning in Islamic thought through tracing the words of the grave that were mentioned in the Holy Quran and tracing their meaning and connotation and semantic thought in them and the difference between the situational meaning and the usage meaning and the reason for using each word over the other and researching these reasons that God Almighty placed in each verse so the verses came in using the words of the grave in (the graves bury him his grave the isthmus) The meaning of each of these words in the dictionary then its technical meaning then the reason for its use in each verse that is the places that led to its use and distinguishing each word from the others. This was mentioned by linguists and commentators regarding the meaning of each word of the grave and the reason for its use and this is what prompted us to clarify the multiplicity of words for one meaning or one term in the Holy Quran in general and for the words of the grave in particular.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: <https://doi.org/10.31185/eduj.Vol61.Iss1.4510>

الفكر الدلالي ودوره في توجيه المعنى في ألفاظ القبر في الفكر الإسلامي

م.م. احمد هاشم جواد

جامعة الكوت / كلية تربية - قسم اللغة العربية

الملخص:

يتناول هذا البحث الفكر الدلالي و دوره في توجيه المعنى في الفكر الإسلامي، و ذلك من خلال تتبع ألفاظ القبر التي وردت في القرآن الكريم، و تتبع دلالتها و معناها و الفكر الدلالي فيها و الفرق بين الدلالة الوضعية و الدلالة الاستعمالية و سبب استعمال كل لفظة عن الأخرى و البحث في هذه الأسباب المؤدية لتنوع الألفاظ الدلالية القبر في (الأجدات، يواريه، أقبره، البرزخ) و معنى كل لفظة من هذه الألفاظ في المعجم ثم معناها الاصطلاحي ثم سبب استعمالها في كل آية، أي المواضع التي أدت لاستعمالها و تمييز كل لفظة عن الأخرى، وجاء في ذلك كلام اللغويين و المفسرين في معنى كل لفظة من ألفاظ القبر و سبب استعمالها وهذا الذي دفع فينا إلى تبين تعدد اللفظ للمعنى الواحد أو للمصطلح الواحد في القرآن الكريم بشكل عام، و لألفاظ القبر بشكل خاص.

الكلمات المفتاحية: الفكر الدلالي ، ألفاظ القبر ، الفكر الإسلامي

المقدمة:

إن القرآن الكريم بما امتاز به من قوة في الألفاظ ، ورسوخ في الأركان يحتاج إلى مجموعة علوم أساسية نستطيع من خلالها التعرف إلى أحكامه الكلية، ومقاصده العامة، ومن أهم هذه العلوم علم الدلالة الذي يدرك به معنى اللفظ، و يعرف به مدلوله ومعناه،

واستحوذ البحث الدلالي على علوم اللغة بشكل شبه عام، وعلى اهتمام الكثير من الأصوليين و علماء الفقه، حيث أولى علماء هذه المجالات الاهتمام الكبير للدرس الدلالي، و ذلك لفهم القرآن الكريم، و ضبط معاني و اتجاهاته و طرق تأويل آياته، وكذلك استنباط الأحكام الشرعية، ذلك أن الغاية من علم الدلالة هو الوقوف على القوانين التي تغير المعاني، و تنظم تغييرها، و دراسة القواعد التي تسيّر وفقها اللغة.

لقد وضع علم الدلالة مجموعة قواعد، و قوانين و ذلك لفهم النصّ الشعريّ، وهذه القواعد تحيلنا لمجموعة من المباحث و الأغراض الدلالية، وهناك من عدّ أنّ كل ما يؤدي وظيفة إيصال المعنى يمكن أن يكون دلالة، و إن أيّ تغير دلالي هو تغير معنوي، ذلك من ارتباط المعنى بالدلالة بشكل وثيق جداً، و القيمة الدلالية للكلمة تكمن في معناها.

و لذلك سوف يكون عنوان هذا البحث الفكر الدلالي و دوره في توجيه المعنى في الفكر الإسلامي، و سوف نتبع في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي بالاعتماد على آراء العلماء وما قالوه في الدلالة و المعنى و ألفاظ القبر.

الدلالة لغة و اصطلاحاً:

قال ابن منظور: "أدل عليه انبسط في الحديث، يمشي على الصراط مدلاً، أي منبسطاً لا خوف عليه، ودلّه على الشيء يدلّه، دلاً ودلالةً، فاندلّ سده إليه، و قد دلّه على الطريق يدلّه دلالة و دلولة" (ابن منظور، ١٩٩٥، ص ٢٣٣)

الدلالة اصطلاحاً:

هي: " ما يتوصل به لمعرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى ودلالة الإشارات و الرموز و الكتابة، و العقود و الحساب و سواء ذلك بقصد مما يجعله دلالة أو لم يكن بقصد كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حي" (الأصفهاني، ٢٠٠١، ص ١٧١)

و يقول الشريف الجرجاني: " هي كون اللفظ بحيث متى أطلق أو تخيل فهم منه معناه للعلم بوضعه و هي المنقسمة إلى المطابقة و التضامن و الالتزام لأن اللفظ الدال بالوضع يدل على تمام ما وضع له بالمطابقة وعلى جزئه بالتضامن وعلى ما يلزم بالذهن في الالتزام كالإنسان يدب على تمام الحيوان الناطق بالمطابقة وعلى جزئه بالتضامن وعلى قابل العلم بالالتزام" (الجرجاني، " ٢٠٠٧، ص ٩٩)

و قد تنبه العلماء للعلاقة بين الدال و بين ما يحيل إليه، أي المدلول، و بين دلالة اللفظ و العالم الخارجي، و قد حددوا منذ عهد مبكر ما يتقاطع مع مصطلح الدلالة من مصطلحات أخرى تلتقي معه حيناً، و تفترق حيناً أخرى من ذلك مصطلحات الدلالة و الدليل والاستدلال و العلامة، فالدلالة عندهم هي ما يمكن ما يمكن أن يستدل به، سواء كانت بقصد واضعها أم من غير قصده، و أما الدليل فهو فاعل الدلالة ثم اسم الدليل يقع على كل ما يعرف به المدلول حسيماً أو شرعاً قطعياً أو غير قطعي ثم سمي الدليل دلالة من باب تسمية الشيء بمصدره أيضاً" (السامرائي، ١٩٩٥، ص ١٠٥)

المعنى لغة و اصطلاحاً:

المعنى لغة: وقال الزمخشري في أساس البلاغة: "عني بكذا، هو معني به ومنه قول سيبويه وهم ببيانه أعني، وعني بكلامي كذا، أي قصدته و أردته ومنه المعني" (الزمخشري، ٢٠٠٨، ص ٦٨٢)

جاء في لسان العرب: " معنى كل شيء مَحْنَتُهُ و حاله الذي يصير إليه، و روى الأزهري عن أحمد بن يحيى المعنى والتأويل و التفسير واحد، وعني بالقول كذا: أردت، ومعنى كل كلام، ومغنيته مقصده، والاسم العناء، يقال عرفت ذلك في معنى كلامه ومعناه كلامه وفي معني كلامه" (ابن منظور، ١٩٩٥، ص ١٢٢)

المعنى في الاصطلاح :

هو: " الصور الذهنية من حيث إنه وضع بإزائها والصور الحاصلة في العقل فمن حيث إنها تُقصد باللفظ في العقل سميت معنى ومن حيث إنها تحصل باللفظ سميت مفهوماً ومن حيث إنه مقول في جواب ما سميت ماهية، ومن حيث ثبوته في الخارج سميت حقيقة ومن حيث امتياز عن الأغيار سميت هوية" (الجرجاني، ٢٠٠٧، ص ٢٧٤)

وأيضاً جاء في كليات الكفوي هو " المفهوم من ظاهر اللفظ أو ما يُفهم من اللفظ وانفهامه منه صفة للمعنى دون اللفظ فلا اتحاد في الموضوع والذي تصل إليه بغير واسطة ومعنى المعنى هو أن يعقل من اللفظ معنى ثم يفرض لك ذلك المعنى إلى معنى آخر وهو مقصد يقع عنه البيان في اللفظ. (الكفوي، ١٩٩٠، ص ٦٨٠)

التطور الدلالي أو التغير الدلالي للمعنى :

يعدّ التطور الدلالي ظاهرة شائعة و عامة و ليست مقتصرة على لغة دون لغة أخرى، فجميع لغات العالم خاضعة لظاهرة التطور، وهذا يعد أحد أهم جوانب دعم اللغة و تطورها و تعدد مجالاتها.

و تحدث ابن فارس عن التطور الدلالي الذي لحق بالألفاظ بمجيء الإسلام بقوله: "كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم ولغاتهم وآدابهم.. فلما جاء الله تعالى بالإسلام حالت أحوال ونسخت ديانات وأبطلت أمور ونقلت من اللغة ألفاظ من موضوع إلى موضوع آخر وربما إلى أكثر من موضع بزيادات زيدت، و شرائع شرعت، و شرائط شرطت" (ابن فارس، ١٩٩٨، ص ٢٣)

وهذا التطور يمكن أن يأتي بأشكال وأنماط كثيرة من أهمها تخصيص الدلالة، وهي "الانتقال من العام إلى الخاص، وهي تحويل الدلالة من المعنى الكلي، إلى المعنى الجزئي أو تضيق مجال استعمالها" (منقور، ٢٠٠١، ص ٧٢) و بهذا الصدد أيضاً يقول الدكتور إبراهيم أنيس عن هذا الجانب: "تطور الألفاظ من دلالة عامة لدلالة خاصة" (أنيس، ١٩٨٦، ص ١٥٣)

قال الدكتور كمال بشر: "اشتهر الأخذ بالمقام منذ زمن قديم، والمقام يأخذ به علماء البلاغة ولهذا السبب قالوا لكل مقام مقال، و وجد الجاحظ أن المعنى ليس يشرف بأن يكون من المعاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من المعاني العامة، وإنما مدار الشرف يكون على الصواب، و إحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من مقال" (بشر، ٢٠٠١، ص ٥٧)

وجد الدكتور تمام حسان أن المعنى المقامي يضم المتكلم والسامع والظروف الاجتماعية، والعلاقات الاجتماعية، والمقام عنده هو الموقف اللغوي، وهو أسلوب إخبار أو إنشاء، والمعنى المقامي هو امتزاج النحو بالمعاني، وهو شديد بمعاني الجمال و طرق استعمالها، كما بين الدكتور تمام حسان أن المستويات النحوية والمعجمية والصرفية هي حقائق جزئية من المعنى المقامي والدلالي، ومقام الكلام عنصر مهم جداً لفهم المعنى المقامي الدلالي، وذكر مثلاً عن آية كريمة وهي قوله تعالى ((يسألونك عن الخمر والميسر قل فيها إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما))^١.

فوجد الدكتور تمام حسان أنه بالمعنى المعجمي و باللفظ وحده لا يستطيع الشخص أن يصل للمراد والمطلوب من تفسير هذه الآية الكريمة بل لا بد أن ينظر للمعنى للمقامي الذي يرى هنا أن العرب كانت الخمر عادة لهم فنزلت التحريم بشكل تدريجي. (حسان، ١٩٩٤، ص ١٦٦)

ولهذا السبب كان المعنى يأتي من امتزاج النحو والمعاني مضموناً وهذه المعاني كثيرة بحسب الحال والأحوال لدى المتكلم والمرسل، لأنه يصبح شديد الارتباط بمعاني الجمل ومواطن استعمالها وما يرتبط بكل جملة من معنى أو مقام أو معنى مقامي مشكل من عناصرها التركيبية المختلفة، ففكرنا المقال والمقام اللذان يشكلان المعنى المقامي هما أساساً تحليل المعاني المختلفة، قد كان فيهما أحد أهم اكتشافات العقل العربي، والمعنى المقام يعتمد على العلاقات اللغوية والظروف الاجتماعية وكذلك على القرائن الحالية كإشارة اليد أو هز الرأس وما شابه ذلك. (حافظ، ١٩٩٨، ص ١٢٢)

وأحياناً يتعارض المعنى المقامي الاستعمالي للكلمة أو التركيب مع الأسس النحوية، وذلك مثلاً في قوله تعالى: ((وخلق الإنسان ضعيفاً)) (النساء ٢٨)

ففي النظام النحوي أو الصناعة النحوية كلمة (الإنسان) هنا معرفة، لكن المقام القرآني يرى أنه نكرة.

فالمعنى المقامي الذي يبينه الله سبحانه و تعالى لهذه الآية هي تكثير الإنسان، والمقصود كل إنسان، ولذلك وجب علينا اتباع أهمية المعنى المقام حتى في المسلمات لأنه كما شاهدنا له الأولوية في السياق والتحليل و أحياناً يسبق في الأهمية على الأسس والقوالب النحوية وذلك بحسب القصد المعتمد.

- ألفاظ القبر:

قال الله تعالى: ((وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ)) (يس ٥١)

إذا تتبعنا الآية الكريمة نلاحظ هنا أن الفكر الدلالي يتناسب مع استعمال كلمة (الأجداث) و ليس استعمال كلمة القبور، و ذلك أن معنى كلمة (الأجداث)، فالجدث: "القبر، و في حديث عليّ كرم الله وجهه في جدث ينقطع في ظلمته آثارها، أي في قبر، و الجمع (أجداث) و في الحديث: تبوئهم أجداثهم، أي تنزلهم قبورهم" (ابن منظور، ١٩٩٥، ص ١٣٣)

إن المعنى الدلالي هنا يقتضي استعمال لفظة من ألفاظ القبر فيها معنى من معاني أهوال يوم القيامة، فلا يكفي هنا أن تكون الكلمة دالة على القبر وهو موضع دفن الميت، فهنا ليس المعنى الدلالي العام يقصد فيه ذلك، بل نلاحظ وجود (نفخ في الصور) وكذلك الفعل (ينسلون) ومعناه الإسراع في المشي (الأبادي، ٢٠٠٨، ص ١٦٠٠)

هذه هي نفخة الصور الثانية التي بها الإحياء والبعث، والأجداث جمع جدث وهو القبر والنسل الإسراع في المشي وفي التعبير عنه بقوله: {إلى ربهم} {تقريع لهم لأنهم كانوا ينكرون ربوبيته والباقي ظاهر

فقد نزل الخطاب القرآني بلغة العرب، و لكنه في الوقت ذاته اعتبر أسلوباً مغايراً لأساليب العرب، و ذلك في تعبيراته و إيحاءاته، وكانت دلالة المفردة القرآنية تنبض حياة، و تشع تفرداً، فإذا أخرجنا تلك المفردة من السياق القرآني نجدها عادت لبساطتها، وهو ما يلقي على السياق القرآني ظللاً من التميز الذي لا يمكن أن يُضاهى وكأنه تجاوز اللغة إلى ما وراءها في كل الحالات.

فهنا استعمال كلمة (الأجداث) و التي تعني القبر ومن معانيها الإسراع بالإضافة للقرينة الموجودة و هي النفخ في الصور و أيضاً الفعل (ينسلون) كل ذلك يوحي بدلالة الحركة للفظة القبر (الأجداث) و التي تعطي خصوصية الحركة فالناس يوم القيامة سوف يخرجون مسرعين من القبور وهذا مناسب ليوم القيامة من حيث الدلالة، أما لو استعمل كلمة (القبر) فلا دلالة فيها على الحركة بل على الثبوت الدائم.

ومما يشارك هذا المعنى الدلالي أن خصوصية استعمال كلمة (الأجداث) تعني الخروج أحياء من القبر، "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ، وهي النفخة الأخيرة نفخة البعث، وبين النفختين أربعون سنة، {فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ، يعني: القبور، واحداً: جدث، {إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ}، يخرجون من القبور أحياء، ومنه قيل للولد: نسل لخروجه من بطن أمه." (البغوي، ٢٠٠٧، ص ١٢٢)

إن البحث في اللفظة القرآنية يتطلب خصوصية منفردة، وذلك من أجل الوصول لأبعد مدى في أعماق الخطاب القرآني، وذلك عن طريق ربط هذه اللفظة بكل ما له علاقة بالمعنى، ذلك أن "الخطاب القرآني هو نصّ يعمل على احتواء كلّ طاقات اللغة، و قد تشكل منه أساس المعجم اللغوي العربي" (عبد الغفار، ١٩٩٩، ص ١٣٣)

هذا و يشترك المعنى النحوي في الدلالة هنا فاستعمال (الأجداث) الدال على الخروج السريع يرتبط هنا بـ (إذا) الفجائية التي لها دور دلالي في تكثيف المعنى و ارتباطه بالحالة و الموقف ارتباطاً سياقياً، فاستعمال كلمة الأجداث هنا مناسب للفكر الدلالي المناسب، يخضع المعنى هنا لأكثر من أمر في أثناء الخطاب القرآني؛ من ذلك السياق، و الوضع العام، و

القرائن، و سياق الحال، والسياق اللغوي، و ربط ذلك كله ما أمكن بالألفاظ المناسبة، و لذلك يسعى النص لاستخدام ألفاظ مناسبة لكل موضوع يتحدث عنه سواء كان عاماً أو كان خاصاً..

فالألفاظ وسيلة النص القرآني هنا و بدونها لا يمكن أن يكتمل شكله مهما علا شأن موضوعه فكرة و مضموناً، فيه: «فالمعجم اللغوي هو ذلك الرصيد الضخم من الألفاظ، و المستخدم لنقل الحالة الشعورية، مما سلس لفظه، و عذب معناه، و ألفاظ السابقين و مما تحتاجه لغة القرآن من الألفاظ . " (السامرائي، ١٩٩٧، ص ١٢٢)

فقد أعطى الخطاب القرآني لهذه اللغة وجوداً آخر غير وجودها الأول، و غني عن البيان أن هذا الخطاب معجز في وجوه متعددة من حيث فصاحته و بلاغته و نظمه و تراكيبه و أساليبه و فكره الدلالي.

قال الله تعالى: ((فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ)) (المائدة ٣٠)

إن المعنى الدلالي هنا يتطلب لفظاً مناسباً من ألفاظ القبر، فهنا الموضوع كان بحالة صراع بين قابيل و هابيل ، فهابيل هنا أراد أن يخفي جثة أخيه هابيل، و لذلك فالاستعمال المعجمي يجب أن يكون مناسباً لهذه الحالة، فلا فائدة من استعمال (القبر) الدال على الثبات الدائم وكذلك لا فائدة من استعمال الأجداث التي تدل على السرعة و على يوم القيامة، فكان لا بدّ من استعمال كلمة تدل على الإخفاء هنا، و جاء اللفظ (يوارى) وهو هنا يدل على الإخفاء، و هو في المعجم " ورّيت الخبر جعلته ورائي و سترته، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه و سلم، كان إذا أراد سفراً ورّى بغيره، أي ستره و أوهم أنه يريد غيره و أصله من البيان، أي ألقى البيان وراء ظهره، و يقال واريته و وريته بمعنى واحد" . (ابن منظور، ١٩٩٥، ص ٣٣٨)

فالموارة هنا هي لإخفاء جثة هابيل وهي لإخفاء الفعل الشنيع الذي قد قام به قابيل، و لذلك جاء الله تعالى بهذه اللفظة للقبر و المناسبة دلاليًا، فالفكر الدلالي لهذه الحادثة هنا يتطلب قولاً واحداً فعلاً يخفي الموضوع و طبعاً هذا الإخفاء هنا هو مطلوب من قبل قابيل و ليس من قبل هابيل، روي أنه أول قتيل قتل على وجه الأرض، ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به، فخاف السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى أروح، و عكفت عليه السباع، فبعث الله غرابين فاقتتلا، فقتل أحدهما الآخر، فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه في الحفرة فقال: يا ويلتي أعجزت. وقيل: حمله مائة سنة. وقيل: طلب في ثاني يوم إخفاء قتل أخيه فلم يدر ما يصنع. وقيل: بعث الله غراباً إلى غراب ميت، فجعل يبحث في الأرض ويلقي التراب على الغراب الميت. وقيل: بعث الله غراباً واحداً فجعل يبحث ويلقي التراب على هابيل. وروي أنه أول ميت مات على وجه الأرض، وكذلك جهل سنة المواراة.

هذا الموضوع يدلنا على أن " القرآن الكريم دقيق في اختيار مفرداته، و استعمال مصطلحاته، و عرض مفاهيمه وحقائقه، و ينوع صور استعمال المصطلح الواحد، و يبدع في استعمالها و يضيف معاني جديدة في هذا السياق إلى ما قرره في سياق سابق و يلقي في كل مرة ظلالاً خاصة، فتصبح بذلك الدلالة الوضعية متغيرة بحسب الحكم الشرعي للآية القرآنية الكريمة و متجددة في ذاتها إلى دلالة أخرى، وهذا يؤدي بنا إلى فهم كيفية تطور الفكر الدلالي و معناها في تنوع اللفظ القرآني لألفاظ القبر في القرآن الكريم" (الخالدي، ١٩٩٢، ص ١٥٣)

و "روي في معناه أن قابيل جعل أخاه في جراب ومشى به يحمله في عنقه مائة عام. وقيل سنة واحدة، وقيل بل أصبح في ثاني يوم قتله يطلب إخفاء أمر أخيه فلم يدر ما يصنع به. فبعث الله غراباً حياً إلى غراب ميت فجعل يبحث في الأرض ويلقي التراب على الغراب الميت، وروي أن الله تعالى بعث غرابين فاقتتلا حتى قتل أحدهما الآخر، ثم جعل القاتل يبحث ويوارى الميت، وروي أن الله تعالى "إنما بعث غراباً" واحداً فجعل يبحث ويلقي التراب على هابيل، وظاهر هذه الآية أن

هابيل هو أول ميت من بني آدم، ولذلك جهلت سنة المواراة، وكذلك حكى الطبري عن ابن إسحاق عن بعض أهل العلم بما في الكتب الأول، و { يبحث } معناه يفتش التراب بمنقاره ويثيره، ومن هذا سميت سورة براءة البحوث لأنها فتشت عن المنافقين يحتمل أن يعود على قابيل ويراد بالأخ هابيل، ويحتمل أن يعود على الغراب الباحث ويراد بالأخ الغراب الميت، والأول أشهر في التأويل، والسوأة العورة، وخصت بالذكر مع أن المراد مواراة جميع الجسد للاهتمام بها، ولأن سترها أوكد، ويحتمل أن يراد "بالسوأة" هذه الحالة التي تسوء الناظر بمجموعها، وأضيفت إلى المقتول من حيث نزلت به النازلة لا على جهة الغض منه بل الغض حق للقاتل وهو الذي أتى "بالسوأة"، وقرأ الجمهور "قأوري" بنصب الياء" (ابن عطية، ١٩٩٩، ص ٣٢)

لا بد للباحث المحلل للنص القرآني الكريم من اعتماد قواعد عامّة منوّعة ، تعينه على فهم النص الكريم فهماً دقيقاً شاملاً ، يتناول أطره المختلفة وصوره المتعددة بما فيها من معان وجمال وأساليب فاللغة هي المرجع في تعيين المعنى المراد ، وهي المرجع في تمييز الحقيقة من المجاز والظاهر من الباطن ، والمجمل من المفصل ، والمطلق من المقيد وما إلى ذلك لأن القرآن جرى على لغة العرب فلا بد من اتخاذ اللغة أداة ووعاءً لبيان معانيه وتحصيل المعنى المراد النظر إلى السياق في فهم النص : والمقصود من السياق هو (تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال) .

والسياق القرآني على أربعة أنواع هي : سياق الآية وسياق المقطع وسياق السورة وسياق القرآن، فكل نوع من هذه الأنواع داخل في الذي يليه ومبني عليه وهذا من خصيصة التعبير القرآني المعجز الذي لا يوجد في غيره .

ولا بد لمحلل النص القرآني من الأخذ بحجية السياق لأن دلالة السياق أصل أصيل من أصول فهم كتاب الله تعالى، وبإهمالها يضع الدارس قدمه على عتبات الزلل، ويركب مراكب الخلل، وتتسم آراءه بالنقص والعلل، فحينئذ يعظم الخطب ويحلّ الجلل .

إن الفكر الدلالي هنا تطور من معنى لمعنى آخر و ساعدنا على تبيان المعنى المقصود، فكلمة (يوارى) هي في الأصل للإخفاء، لكن بسبب الدلالة و بسبب الوضع الذي جرى فيه الخلاف استعملت للدلالة على القبر، و ذلك من باب أن القبر لا يفيد بالمعنى المراد أو المعنى المطلوب هنا .

قال الله تعالى ((مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ)) (النازعات ٢١)

هذه السورة الكريمة تتحدث عن خلق الإنسان وكيفية خلقه و تسلسل مراحل حياته منذ أن يكون نطفة إلى أن يموت، فالدلالة هنا ليست دلالة للبعث و لا دلالة للإخفاء كما شاهدنا في الآيتين الكريمتين السابقتين، وعندما كان الفكر الدلالي يتطلب هذه الألفاظ جاء الله تعالى بها لإتمام المعنى المراد، فالقبر هو " مدفن الإنسان و جمعها قبور، و أقبره جعل له قبراً، و قبره يقبره قبراً دفنه" (الأبادي، ٢٠٠٨، ص ٣٤٣)

"الإماتة إيقاع الموت على الانسان، والمراد بالإقبار دفنه في القبر وإخفاؤه في بطن الأرض وهذا بالبناء على الغالب الذي جرى عليه دين الناس وبهذه المناسبة نسب إليه تعالى لأنه تعالى هو الذي هداهم إلى ذلك وألهمهم إياه فللفعل نسبة إليه كما له نسبة إلى الناس .

وقيل: المراد بالإقبار جعله ذا قبر ومعنى جعله ذا قبر أمره تعالى بدفنه تكريماً له لتتوارى جيفته فلا يتأذى بها الناس ولا يتنفروا .

والوجه المتقدم أنسب لسياق الآيات المسرود لتذكير تدبيره تعالى التكويني للإنسان دون التدبير التشريعي الذي عليه بناء هذا الوجه. (الطباطبائي، ١٩٩٩، ص ١٧٦)

وقال ابن عطية: "معناه أمر أن يجعل له قبر، وفي ذلك تكريم لئلا يطرح كسائر الحيوان، والقابر هو الذي يتناول جعل الميت في قبره، والمقبر الذي يأمر بقبر الميت" (ابن عطية، ١٩٩٩، ص ٣٢)

"أي جعل له قبراً يوارى فيه إكراماً، ولم يجعله مما يلقي على وجه الأرض تأكله الطير والعواقي؛ قاله الفراء. وقال أبو عبيدة: «أقبره»: جعل له قبراً، وأمر أن يُقبر. قال أبو عبيدة: ولما قتل عمر بن هبيرة صالح بن عبد الرحمن، قالت بنو تميم ودخلوا عليه: أقبرنا صالحاً؛ فقال: دونكموه. وقال: «أقبره» ولم يقل قَبْرَه؛ لأن القابر هو الدافن بيده يقال: قبرت الميت: إذا دفنته، وأقبره الله: أي صيره بحيث يُقبر، وجعل له قبراً؛ تقول العرب: بترت ذنوب البعير، وأبتره الله، وعضبت قَرْنَ الثور، وأعضبه الله، وطردت فلاناً، والله أطرده، أي صيره طريداً

وقال الزمخشري: "فَأَقْبَرَهُ { فجعله ذا قبر يوارى فيه تكرامة له، ولم يجعله مطروحاً على وجه الأرض جزراً للسباع والطيور كسائر الحيوان. يقال: قبر الميت إذا دفنه. وأقبره الميت. إذا أمره أن يقبره ومكنه منه. ومنه قول من قال للحجاج: أقبرنا صالحاً { أَنْشَرَهُ { أنشأه النشأة الأخرى. وقرىء « نشره » كلاً { ردع للإنسان عما هو عليه { لَمَّا يُقْضِ { لم يقض بعد، مع تطاول الزمان وامتداده من لدن آدم إلى هذه الغاية { مَا أَمَرَهُ { الله حتى يخرج عن جميع أوامره، يعني: أن إنساناً لم يخل من تقصير قط. (الكشاف، ١٩٧٦، ص ٩٨)

قال الله تعالى: ((لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)) (المؤمنون ١٠٠)

في الجانب اللغوي كما ورد عند أصحاب المعاجم، البرزخ " هو الحاجز بين الشيئين من وقت الموت إلى يوم القيامة، و برزخ الإيمان ما بين أوله و آخره وما بين الشكّ و اليقين " (القاموس المحيط، ٢٠٠٨، ص ١١٥)

الفكر الدلالي هنا يتطلب استعمال كلمة البرزخ لأن الآية الكريمة تتحدث عن الفترة التي يمضيها الإنسان بقبره، فلا يتحدث عن القبر بشكل دائم و لا يتحدث عن البعث و لا عن أي موضوع آخر، بل الحديث عن البرزخ الذي " العالم المشهور بين عالم المعاني المجردة و الأجسام المادية و العبادات تتجسد بما يناسبها إذا وصل إليها وهو الخيال المنفصل، و هو الحائل بين الشيئين و يعبر به عن عالم المثال أعني الحاجز من الأجسام الكثيفة و عالم الأرواح المجردة أعني الدنيا و الآخرة " (الجرجاني، ٢٠٠٧، ص ٤٦)

ومما لا شك فيه أبدأ أن القرآن الكريم كتابٌ يتميز بالتناسق والتناسق بين ألفاظه وجمليته، والوحدة الموضوعية متمثلة في كل مقاطعه ومفاصله، هذه الوحدة التي لم يلتفت إليها المفسر التراثي بشكل عام سوى إشارات قليلة عند بعضهم تفرقت في مؤلفاتهم بقصد أو دونه؛ ولهذا كان التفسير الموضوعي بوصفه منهجاً تفسيرياً متأخراً الظهور على الرغم من قرينه إلى طبيعة الموضوعية التي غلبت على النص القرآني (الأبيض، ٢٠٠٠، ص ٧٩). فالوحدة الموضوعية القرآنية التي غابت عن المفسر الأول لم تجد طريقاً لها إلا عند عدد قليل من المتأخرين فأنتجت منهجاً خاصاً أصبح يسمى بالمنهج الموضوعي، أو التفسير الموضوعي الذي يعرف بأنه ((بيان ما يتعلق بموضوع من موضوعات الحياة الفكرية، أو الاجتماعية، أو الكونية من زاوية قرآنية للخروج بنظرية قرآنية بصدده)) (عبد المجيد، ١٩٩٩، ص ٧٦)

الخاتمة :

- ١- الفكر الدلالي يعد مفتاحاً مهماً من مفاتيح فهم النص بشكل عام و النص القرآني بشكل خاص.
- ٢- هناك ارتباط بين الدلالة و المعنى بشكل كبير حيث تقوم الدلالة بالإشارة للمعنى المخصص.
- ٣- ألفاظ القبر كثيرة في القرآن الكريم لكن لكل لفظ دلالة خاصة جداً تختلف عن الأخرى من حيث الفكر الدلالي.
- ٤- يجب الاهتمام بخصوصية لاستعمال القرآني بشكل كبير و البحث في أسس هذه الخصوصية.
- ٥- كان للمفسرين دور كبير في تبيان الدلالة الخاصة لكل لفظة من ألفاظ القبر في القرآن الكريم.
- ٦- اللغة هي الوسيلة نحو الدلالة المطلوبة و لاسيما الاستعمال الدلالي الخاص كما شاهدنا في ألفاظ القبر.

المصادر و المراجع:

- ١- القرآن الكريم
- ٢- إبراهيم، أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط٥، مصر ١٩٨٦.
- ٣- ابن عطية، المحرر الوجيز، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٩.
- ٤- ابن فارس، الصحابي في فقه اللغة، منشورات محمد علي بيضون، ط١، ١٩٩٨.
- ٥- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط١، ١٩٩٣.
- ٦- أبو حيان، البحر المحيط، تحقيق: محمد العبيدي و أمين عبد الوهاب، دار صادر ، بيروت، ط١، ١٩٩٨.
- ٧- الأبيض، أشواق حسن علي، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٩..
- ٨- البغوي، معالم التنزيل، دار التراث، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.
- ٩- التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون، ، دار التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨،
- ١٠- الجرجاني، التعريفات، دار المعرفة، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.
- ١١- الخالدي، صلاح، مفاتيح التعامل مع القرآن الكريم، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٩٢.
- ١٢- الخليفة، حسين، علم المفردة القرآنية، مركز عين، ط١، ٢٠١٨.
- ١٣- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، د.ط.
- ١٤- الزمخشري، أساس البلاغة ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.
- ١٥- السامرائي، إبراهيم، العربية تواجه العصر، دار الأمل، العراق، ط٣، ١٩٩٧.
- ١٦- السامرائي، فاضل، مراعاة المقام في التعبير القرآني، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٩.
- ١٧- الطباطبائي، تفسير الميزان، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٩٩.
- ١٨- عبد الغفار ، سيد، التصور اللغوي، دار المعرفة، مصر، ط١، ١٩٩٩.
- ١٩- عبد المجيد، ناظم، مباحث في التفسير الموضوعي ، ناظم عبد المجيد، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٩٩،
- ٢٠- الفيروز أبادي ، القاموس المحيط، تحقيق: أنس الشامي، زكريا أحمد، دار الحديث، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨.
- ٢١- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق إبراهيم اطفيش، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٧.
- ٢٢- الكفوي، الكليات، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٩،
- ٢٣- منقور، عبد الجليل، علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١.
- ٢٤- موسوعة لالاند الفلسفية، مؤسسة العلم للترجمة، بيروت، ط١، ١٩٩٨،